خاتمة

ومن هذه الدراسة الوثائقية نخلص الى أن محمد على قد أحدث ثورة اقتصادية فى نظام عتيد عفى عليه الزمن ، وعلى الرغم من أن الصبغة العسكرية كانت واضحة فى هذه الثورة فانها ارتبطت بعجلة التطور الاقتصادى خاصة وان محمد على حاول أن يجمع بين السيف والآلة ليكونا أداة واحدة فى يده . فلقد شجع محمد على الارتقاء بالزراعة والتجارة والصناعة ، وعمل على تجديد اتصالات مصر بالدول الأوربية بعد أن ضعفت ، وازال عنها داء الوحشة بعد أن استفحل ، وجعل من مصر دولة لها وزنها فى مجالات عديدة فللمرة الأولى فى العصر الحديث يكون لمصر سياسة اقتصادية منظمة تنقلها من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد المفتوح حيث خرجت من عزلتها ، وبدأت تؤثر فى الاقتصاد العالمى وتتأثر به دون أن تستدين من أحد أو تعلن افلاسها أو تفرض عليها شروط كما حدث بعد ذلك فى عصرى سعيد واسماعيل . ومع ذلك فاذا كان محمد على قد استطاع أن يجعل من مصر دولة ذات شأن فى نواحى عديدة ومنها الاقتصادية فان سياسته كانت مقرونة بالدكتاتورية الفردية ، وبسيطرته على الاقتصاد المصرى وتوجيهه نحو أغراضه التى رسمها لسياسته ، وهنا يحضرنا قول محمد على نفسه حول ادارته لمصر « لقد وضعت يدى على كل شىء ، ولكن لكى أجعل كل شىء مثمرا ، والمسألة مسألة انتاج واذا لم أقم به أنا فمن يقوم به غيرى » كما يحضرنا رأى المؤرخ « عبد الرحمن الجبرتى » فى محمد على حيث يقول « فلو وفقه الله لشىء من العدالة على مافيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه »[1] .

ولئن كان يحلو للبعض دائما تشبيه سياسة جمال عبد الناصر ونظامه

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج ٤ ص ٢٥٨ .

فى بناء مصر الحديثة بسياسة محمد على الا أن الواقع لا يكاد يختلف كثيرا على نحو يثبت صحة هذا الرأى الى حد بعيد وحسبنا أن نورد هنا بعض أوجه الشبه بين النظامين وان اختلفت الوسيلة فقد اتفقت الغاية فكل منهما رأى ضرورة الهيمنة على اقتصاد مصر ، وكل منهما قام بتشييد الصناعات الحديثة متحديا المقولة الاستعمارية القائلة بأن مصر بلد زراعى ولا يصلح للصناعة ، وكل منهما فشل فى استمرار هذا النظام ، وكل منهما اهتم بتسخير اقتصاد البلاد لخدمة المجهود الحربى ، وكل منهما اهتم ببناء جيش قوى وفتح المدارس والكليات اللازمة لتطويره ، وكل منهما عمل على ضبط مياه النيل وتدبير الماء اللازم لرى الأراضى الزراعية فى غير زمن الفيضان فبنى محمد على القناطر الخيرية وبنى عبد الناصر السد العالى ، وكل منهما لم يتدارك خطورة الاهتمام بمحصول واحد وهو القطن ، ولم يأبه بأهمية نقص محصول القمح العمود الرئيسى لغذاء الشعب المصرى . وكل منهما تربصت به الدوائر الاستعمارية وقضت على هيبته ونفوذه ووضعت لكل منهما خطوطا لا يتعداها مثلما حدث لمحمد على فى عام ١٨٤٠ ولعبد الناصر فى عام ١٩٦٧ .

ومع ذلك فهناك اختلافات بين كل من عبد الناصر ومحمد على فعبد الناصر المصرى اهتم بتحسين أحوال الفقراء ووقف بجانبهم حتى لقبه البعض « أبو الفقراء » بينما وقف محمد على الألبانى الى جانب أبناء جلدته ولم يأبه بغيرهم ومع ذلك فان من مميزات محمد على أنه لم يستدن من أحد بل حرم نفسه ورعيته من أكثر ارباحه وارباحهم فى الكد فى الزراعة والصناعة والتجارة ، بينما استدان عبد الناصر وترك ارثا ثقيلا من الديون لا يزال الشعب المصرى يتحمل أعباءها ، كما ترك مشكلة كادت تفقد الثقة فى نفوس الكثيرين ألا وهى الاحتلال الاسرائيلى لسيناء المصرية .

وعلى أى حال فعلى الرغم من أن محمد على قد حرم الشعب المصرى من التمتع بارباحه والحصول على نتائج كده وعرقه فأن أحدا لا يستطيع أن ينكر دوره فى بناء مصر الحديثة ، وفى انه كان حريصا على عمار البلاد وتقدمها . ولما كان التقدم الاقتصادى الذى احرزه محمد على مشروطا بتواجده فى الحكم فان عدم توافر ذلك الشرط بعد وفاته وقف حائلا أمام استمرار هذا التطور الذى وضع محمد على لبناته الأولى .